LeCaire - 8 — 6 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

Ième année No 879

العدد ٨٧٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦٩ — ٨ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

٤ — صور من الحياة :

قلوب من حجـــــر

للاستاذ كامل محمود حبيب

... وسمعت حديث الفلاح الذى حطمته رزايا الحياة وطحنته بلوى الزمن ، فأحس مهارة العيش حين مكر به الطبيب فاستنبه من قوت عياله ومساك روحه ليذر ابنه بين يدى الإهمال يتهاوى تحت صفعات المرض القاسية حتى لفظ نفسه الأخير ؛ وحين قاعليه سعادة اليك فامتص زهرة شبابه وغضارة عمره ثم ضن عليه بفضلة من المال كان يترجاها عسى أن تشبع شره الطبيب فيحنو على ابنه المريض المعنى ؛ وحين طرده رب العزبة من رحمته فقذف به إلى عرض الشارع وحبس عنه صبابة من رزق تقيم الأود وترد غائلة الجوع ... سمعت حديثه فتدفق فى قلبى أنات نفس آدها الحزن وأمضها الأسى ، فران على المجلس — مثلما ران على — صمت فيه روح الرثاء ، وشمله سكون فيه معنى العزاء ، وتراءى الشيخ فى حديثه كأنما يوقع الحان روحه على وتر أصابه الوهن والبلى فهو يوشك أن ينقد من طول ما عانى لولا بقية من عزم وإيمان ، وأحس كل واحد من رفاق بتاريخ نفسه المكلومة يهتز فيهب من غفوة ويصحو من سبات ، وهفت الأنفس إلى أن تنفض شكاتها على عينى وإن لكل واحد قصة يتوثب الظلم من خلالها ويفور الجشع من أضعافها ثم تظفر ثورة القوة باستخذاء الضعف وتصرع كبرياء الثراء ذل المسكنة ، ولكننى أطرقت فى صمت كأننى أستروح من تعب وأتنفس من ضيق .

يا عجبا ! هذه النفوس التى كانت — منذ ساعة — تتأنق بالبهجة وتهتز بالمرح ، قد استحالت — فى لمحة واحدة — إلى زفرات حرى تقعم الجو بالشجا والشجون لأن الماضى العقيم قد محا فيها فنسفها نسفاً !

وآذانى أن أجلس فى هذا المكان الجميل ، فى مهرجان الربيع ، بين الصمت والإطراق أسمع أنات صامتة وأحس شكوى مكتومة ، فقلت « ما بالكم قد سيطر عليكم الأسى وغمركم الوجوم كأنكم كنتم تجهلون ؟

فقال قائل « آه — ياسيدى — إن الضلوع هنا لتنضم على حسرات مرمضة لو زفرت على هذا الربيع الأخضر لاستحال — دفعة واحدة — إلى هشيم تذروه الرياح ، وإن النفوس لتكتم أشجانا لو اندلعت لاضطرمت الدنيا بجحيم يتلهب أوارها ، ولكن الصبر ... الصبر والإيمان ، يا سيدى ! »

وقال آخر « عزيز علينا أن ننشر عليك من خبث الحياة ما يرعجك فيفقدك متعة كنت تتمناها هنا » .

وقال ثالث « إن اليد التى تلوثها الجريمة مرة واحدة هى آثمة

لا ترحض تستطيع مياه الأرض أن تغسل عنها الرجس ، وإن القانون الذي يكبل بالحديد من يسرق كيزان الذرة ليرد بها سغب أولاده الجياع ليعجز عن أن يردع اللص ... اللص الذي يتسربل بالغنى والجاه فيستلب من الفقير قوت يومه وهو أحوج ما يكون إليه ! »

وتناثر الحديث حوالي بين بالشكوى حيناً ويغلي بالثورة حيناً ، فقلت « وي كأن في الحياة سراً قبيحاً يتوارى خلف أستار الطبيعة الوضاحة وهي تتألق بالحسن والجمال ! »

فقال قائل : « لو شئت لكشفت لك عن أسرار من الشجن ، ولهتكت حجاباً عن خبء من الألم » .

فقلت : « هاته »

قال : أما قصتي فهي قصة الغلظة التي لا تعرف الرحمة ، قصة القسوة التي لا تؤمن بالشفقة

لقد غبرت زماناً أعيش في عزبة رجل من ذوي الثراء والجاه أقنع بالكفاف وأرضى بالشظف ، أغدو إلى الحقل لأنزف قوة الشباب وفراهة الفتوة ، وأروح إلى الدار لأسكن إلى عطف الزوجة وحنان الولد ، لا أجد إلا أجر يومي وإلا غلة قراريط نافهة أستر بها عورة الأهل ، وأردبها شحاثة العدو . وأنا — إذ ذاك — فتى في فورة النشاط وذروة الصحة ، لا أنكص عن عمل ولا أنكل عن جهد . وتناهى خبري إلى صاحب العزبة فشملني بعطفه وغمرني بفضله فأحسست بالرخاء والخفض ، ولمست الهدوء والراحة .

وغاظ رئيس العمال أن أفوز بحظوة رب هذه الأرض وأنا عامل حقير ، في رأيه ؛ وخشي أن أستلب مكانته أو أن أنتزعه من مركزه فانطلق ينفث سمومه حولي ويدس لي السم في الدسم ، وأنا في لهو عن نوازع نفسه الشريرة ، وفي غفلة عن دوافع روحه الوضيعة .

وذهبت جهود الرجل هباء حين أعجزه أن يسول لصاحب العزبة رأي ، أو يوسوس له بأمر ، فانطوى على هم يتنزى في صدره فيسلبه القرار والسكينة ، وهيت روح الشر في نفسه جياشة تدفعه إلى غاية ، فراح يرهقني بالعمل ويضنيني بالجهد ويتعهدني بالإهانة ، وأنا أحمل النفس على الصبر وأكرهها على الصمت .

وضاقت حيلة الرجل فركب رأسه فدس لي رجلا من العمال يتحرش بي — أثناء العمل — في قسوة ، ويثير كوامن نفسي في سفاهة ، فلما حاولت أن أرد الكيد نحر صاحبه لم يرعني إلا كف العامل الأجير تهوي في عنف على وجه رفيقه ... وجهي أنا ... فطار للطمة حلمي ، وثارت كرامتي ، فاندفعت نحو المعتدي السفيه هائجاً من غيظ وحنق ... اندفعت صوبه أذيقه وبال جهله وغفلته . واستصرخ الرجل رفاقي فجاءوا يحمون الظالم من المظلوم ، وأقبل رئيس العمل يتهدد ويتوعد ، فأعلقت صمي من دون كلامه ثم تركت العمل — توا — إلى حيث صاحب العزبة ، رب هذه الأرض ، وسيد هؤلاء الناس .

ووقفت بين يدي صاحب العزبة أقص قصة المعركة التي اجتاحت العمل والعمال هناك ، في الغيط . ونفض صاحب الأرض بنظرة قاسية ثم قال : « أحقا ما تقول ؟ »

قلت « إي وربي ! »

قال « سنرى »

ثم تزاحم الناس في صحن الدار ، وجاء العمال — رفاقي — يزورون حديثاً يتقون به مرضاة الرئيس ، ووقفت مرتبكا أنظر حوالي في ذهول ، أفتش عن الحقيقة وهي تتوارى خلف سجف من الزور والبهتان ، فما وجدت في هذا الجمع رجل صدق وإيمان ، وأسقط في يدي فأمسكت عن الحديث واستسلمت .

وحدجني صاحب الأرض بنظرات عابسة يتوثب الغيظ من خلالها ثم قال « والآن ماذا ترى ؟ » فقلت « لا شيء » ثم أمسكت عن الحديث واستسلمت.

فقال في ثورة « إذن حكمنا عليك بكذا وكذا من الجنيهات تدفع بعضها عاجلا والباقي آجلا ، وموعدنا محصول القمح » .

فقلت في توسل « وأنى لي — ياسيدي — بهذا المبلغ الكبير وأنا رجل فقير ؟ » فقال في كبر : « لست أقبل مراوغة ولا مماطلة ولا دفاعا » قلت « ولمن يكون هذا المبلغ الجسيم ؟ » قال « ومالك أنت ولهذا ؟ ألا تعلم ؟ إنه لصاحب الأرض التي امتهنت كرامتها واستبحت حرمتها وعبثت بحماها ، لصاحب العمل الذي ضيعته وبذرت فيه الفوضى ، لي ... » وعجبت لحديث هذا الثري الشره فأردت أن أقذف في وجهه كلمة عنيفة جاسية ، فقلت « أو ترضى — ياسيدي — أن تنتزع مني قوت عيالي ومساك روحي غصباً ؟ » فقال في ترفع « هذا كلام رجل خلو من الأدب خلو من الحياء ، أخرج فأنت مطرود منذ الساعة » .